الرسالة

(٢ كورنثوس ٦: ١–١٠)

يا إخوةُ بما أنَّا معاونونَ نطلُبُ إليكم أن لا تقبَلوا نِعمةَ اللهِ في الباطِلِ* لأنَّهُ يقولُ إنّي في وقتٍ مقبولٍ استَجَبْتُ لكَ وفي يومِ خلاصٍ أعَنْتُك. فهوذا الآنَ وقتٌ مقبول. هوذا الآنَ يومُ خلاصٍ* ولسنا نأتي بمعثَرَةٍ في شيءٍ لئلاَّ يلحَقَ الخدمةَ عيبٌ* بل نُظهِرُ في كلِّ شيءٍ أنفسَنا كخدَّامِ اللهِ في صبرٍ كثيرٍ في شدائدَ في ضروراتٍ في ضِيقاتٍ* في جَلَداتٍ في سجونٍ في اضطراباتٍ في أتعابٍ في أسهارٍ في أصوامٍ* في طهارةٍ في معرفةٍ في طولِ أناةٍ في رِفقٍ في الروحِ القدسِ في محبَّةٍ بلا رِياءٍ* في كلمةِ الحقّ في قُوّةِ اللهِ بأسلحةِ البِرِّ عن اليمينِ وعنِ اليسارِ* بمجدٍ وهوانٍ. بسوءِ صِيتٍ وحُسنِه* كأنَّا

لا تَقبلوا نعمة الله في الباطل

يدافع الرسول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس عن الرسوليّة، وعن نفسه كرسول، بسبب بروز مَن صار يشكّك برسوليّته. كان هذا الدفاع ضروريًّا لئلّا يُظَنّ أنّ الإيمان الذي سلّمه بولس إلى المؤمنين في كورنثوس يشوبه عيب، لذلك تحمل الرسالة أيضًا توجيهات للمؤمنين. الإصحاح الخامس، الذي يسبق المقطع الذي يُتلى على مسامعنا اليوم، يتحدّث الرسول فيه عن خدمة المصالحة، فالله صالَحَ العالم لنفسه في المسيح، هذه المصالحة صار بولس الرسول خادمًا لها كسفيرٍ عن المسيح (٢كو ٥: ١٩–٢٠).

يطلب إلينا الرسول بولس، في مطلع المقطع الذي يُقرأ اليوم، بما أنّه معاونٌ للمسيح في خدمة المصالحة، ألّا نقبل نعمة الله في الباطل. نعمة الله الأعظم التي نلناها هي الخلاص. الله صالحَنا مع نفسه، ومنحَنا غفران خطايانا، وفتح لنا أبواب الفردوس. النعمة عطيّة إلهيّة مجانيّة، وهي في متناول الجميع، وقادرة أن تخلّص مَن يقتبلها. هذه النعمة لا عيب فيها، بل هي قادرة أن تجعل من الناس قدّيسين ووارثين للملكوت السماويّ. أمّا كلام بولس الرسول التحذيريّ، فهدفه لفت انتباهنا لئلّا نأخذ النعمة ونبطلها في حياتنا، أي أن نجعلها غير فعّالة. يستطيع الإنسان أن يبطل عمل النِعَم التي ينالها من لدن الله إن لم يتغيّر بعدَ اقتبالِها.

العدد ٢٠١٩/٤٠

الأحد ٦ تشرين الأول

تذكار الرسول توما

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الخامس

الإنسان المؤمن يلبس المسيح في المعموديّة، لكنّه أحيانًا يهمل هذه النعمة العظيمة ولا يحيا بحسب تعاليم المسيح، فيبطل عمل النعمة التي نالها في المعموديّة. تجعلنا الكنيسة نحيا الأحداث الخلاصيّة من خلال سرّ الشكر، وتمنحنا نعمة الاتّحاد بجسد المسيح ودمه المقدَّسَين، فتثبّتنا فيه كما تثبت الأغصان في الكرمة (يو ١٥: ٥). أمّا المؤمن، الذي لا يأتي بثمر، فلا يكون غصنًا ثابتًا في الكرمة، لذلك يُطرح خارجًا ليجفّ، ثمّ يضعونه في النار. يحصل الإنسان، في سرّ التوبة، على مغفرة خطاياه، وكلّنا

أخطأنا ويعوزنا مجد الله (رو ٣: ٢٣)، لكنّ المسيحيّ أحيانًا لا يريد أن يحيا في توبة دائمة، ويفضّل الاستمرار في حياة الخطيئة. هنا أيضًا المشكلة هي من جهتنا، أي في تفاعلنا مع نعمة الغفران التي ننالها، وليس في النعمة بذاتها. يدفعنا ما تقدّم إلى استنتاج أنّ الله يعطي نعمًا كثيرة، لكنّ الإنسان قد يقبلها باطلًا، أي إنّه لا يهتمّ بها، ولا تعنيه، ولا يسمح لها بأن تكون فعّالة في حياته. النعمة هي كالزرع الذي يسقط على الأرض في مَثَل الزارع (مت ١٣: ٣–٩). إن لم ينبت الزرع، تكون المشكلة في الأرض التي سقط فيها الزرع، أي في الإنسان، وليس في الزرع نفسه.

تفعل نعمة الله في الإنسان في وقت مقبول وفي يوم خلاص. قبل المسيح، كانت البشريّة تنتظر خلاص الله، أمّا مع تجسّد الربّ يسوع المسيح، وإتمامه التدبير الخلاصيّ، فقد مُنِحَ الخلاص لكلّ المؤمنين به، وجُعِلَ كلّ وقتٍ فرصةً للخلاص. لذلك، ما علينا نحن المؤمنين سوى أن نجعل نعمة الله تفعل في حياتنا. تفعيل عمل النعمة يجب أن يتمّ في اللّحظة الحاضرة، لأنّ الوقت الذي عبر أصبح من الماضي ولا نستطيع تغييره، والوقت الذي سيأتي لاحقًا هو غير مضمون: «أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد، لأنّه ما هي حياتكم؟ إنّها بخارٌ، يظهر قليلًا ثمّ يضمحلّ» (يع ٤: ١٤). لا يوجد بين يدينا سوى الحاضر، الذي هو الفرصة الوحيدة الأكيدة المتاحة لنا لنتفاعل مع نعمة الله. يقول بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيّين: «عظوا أنفسكم كلّ يوم، ما دام الوقت يُدعى اليوم» (عب ٣: ١٣). معنى هذا الكلام أنّه ليس لدينا سوى اليوم الحاضر لننتبه لأنفسنا إن كنّا نحيا بحسب مشيئة الله، لأنّه مكتوب: «اليوم، إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم» (مز ٩٥: ٨).

الإنسان الذي يصير خادمًا للمسيح، عبر تنعّمه بنعمة الله، لا يعود يستطيع أن يحتفظ بهذه النعمة لنفسه فقط بل ينقلها للآخرين. خادم الربّ لا يأتي بمعثرة في شيء لئلّا يلحق الخدمة عيبٌ (٢كو ٦: ٣). يراقب المؤمن نفسَه باستمرار لئلّا يكون عثرة لِمَن هم حوله، ليس بهدف أن يقول الناس بحقّه كلامًا حسنًا، بل بهدف ألّا يبتعد أحدٌ عن الإيمان بسبب تصرّفاته. علينا أن نتذكّر دومًا كلام الربّ عن الفرح الذي يصير في السموات بخاطئ واحد يتوب (لو ١٥: ٧)، وتحذيره لِمَن ستأتي على يده العثرات: «لا يمكن إلّا أن تأتي العثرات، ولكن ويلٌ للّذي تأتي بواسطته» (لو ١٧: ١). يواجه خادم المسيح صعوبات كثيرة في سبيل خدمته، وهذه يعدّدها بولس الرسول في الجزء الثاني من المقطع الذي يُقرأ اليوم (٢ كو ٦: ٤–١٠). لكنّ هذا الخادم، في الوقت عينه، يعرف أنّ الربّ يستجيب له في وقت مقبول، ويعينه في يوم خلاص.

المحبّة عند القدّيس سمعان اللاهوتيّ الحديث

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ١٢ تشرين الأوّل للقدّيس سمعان، الذي لُقِّبَ باللاّهوتيّ الحديث لأنّه غاص في نور الروح القدس ليشهد للمسيح. القدّيس سمعان هو اللّاهوتيّ الثالث بعد الرسول يوحنّا الإنجيليّ والقدّيس غريغوريوس النزينزيّ (القرن ٤) الذي بدوره عاين سرَّ الثالوث مُضِلُّون ونحنُ صادقون. كأنّا مجهولون ونحنُ معروفون كأنّا مائِتونَ وها نحنُ أحياءٌ. كأنّا مؤدَّبون ولا نُقتَل* كأنّا حِزانٌ ونحنُ دائمًا فرِحون. كأنّا فقراءُ ونحن نُغني كثيرين. كأنّا لا شيءَ لنا ونحنُ نملِكُ كلَّ شيءٍ.

الإنجيل

(لوقا ٧: ١١–١٦)

في ذلك الزمانِ كان يسوعُ منطلقاً إلى مدينةٍ اسمُها نايُنُ وكان كثيرون من تلاميذهِ وجمعٌ غفيرٌ منطلقَين معه* فلمَّا قرُبَ من بابِ المدينةِ إذا مَيْتٌ محمولٌ وهو ابنٌ وحيدٌ لأُمِّه وكانت أرملةً وكان معها جمعٌ كثيرٌ من المدينة* فلمَّا رآها الربُّ تحنَّنَ عليها وقال لها لا تبكي* ودنا ولمسَ النعش (فوقف الحاملون). فقال أيُّها الشابُّ لك أقولُ قُمْ* فاستوى الميْتُ وبدأ يتكلَّمُ فسلَّمهُ إلى أُمِّهِ* فأخذَ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللهَ قائلَين لقد قامَ فينا نبيٌّ عظيمٌ وافتَقَدَ اللهُ شعبَهُ.

تأمل

«نُظهر في كل شيء أنفسنا كخدّام لله في صبر كثير».

الصبر على الأذى أمرٌ عجيب، فهو يضع النفس كما في مرفأ هادئ، محرِّرًا إيّاها من التقاذف، ومن الأرواح الشريرة. هوذا ما علّمنا إيّاه المسيح في كلّ موضع، وبخاصةٍ حين كان يحاكم... لكن، لِمَ حدث ألاّ يُجري بيلاطس التحقيق بحضور اليهود، بل على حدةٍ وقد دخل قاعة المحكمة (يو ١٨: ٢٣)؟ ذلك أنّه كان يشتبه بوجود أمرٍ عظيم في ما يتعلّق به. وبشأن ما كان بيلاطس راغبًا في سماعه منه، أي مملكته، أجاب قائلًا: «مملكتي ليست من هذا العالم» (١٨: ٣٦)، هذا يعني: «إنني ملكٌ فعلًا، بيد أنّي لستُ كأيّ أحدٍ ممن تظنّ، بل أرفع مجدًا بكثير»... لكنّ اليهود صرخوا قائلين: «لا ملك لنا إلاّ قيصر» (١٩: ١٥)، فعرّضوا أنفسهم للعقاب باختيارهم. لذلك تخلّى عنهم الله أيضًا، كونهم قد طردوا أنفسهم من عنايته وإشرافه... لمَ كانوا يكافحون لقتله بهذه الطريقة والميتة المخزية؟

القدّوس والنور الإلهيّ.

عاش القدّيس سمعان في نهاية القرن العاشر، وأوائل القرن الحادي عشر (٩٤٩ – ١٠٢٢)، حياةً جهاديَّة مستمرَّة، متعزّيًا بالروح القدس الذي كان عضدًا له في جهاده. عاصَر صراعًا كنسيًّا بين نوعين من اللاّهوت: الأوّل يعتمد على الخبرة الشخصيَّة (التي كان القدّيس يشدِّد عليها في عظاته وتعاليمه)، والثاني سكولاستيكيّ (مدرسيّ) كتابيّ مجرَّد من أيّ خبرة.

رغم الإضطهادات والجهادات التي عاشها القدّيس سمعان، إلّا أنّه أغنى الكنيسة الأرثوذكسيَّة بكتاباته وعظاته، فكان الشاهد الأمين على المسيحيّة الحقّة، والصوتَ الصارخَ في حياة الكنيسة، لا بالكلام فقط بل بالأفعال أيضًا، مقابل أيّ تحريف أو تشويه للحياة الحقيقيَّة في المسيح يسوع. من أهمّ العظات التي تركها لنا القدّيس سمعان، عظة حول المحبَّة، ألقاها عندما تمَّ انتخابه رئيسًا لدير القدّيس ماما، ليرعى ويشدِّد إخوته الرهبان في عيشتهم الرهبانيّة ضمن حياة شركة وجهاد مستمرَّين، ليعاينوا النور الإلهيّ كما عاينه هو قبلَهم. الإيمان بالربّ يسوع، بالنسبة إلى القدّيس سمعان، مرتبط بالمحبَّة التي هي «الفضيلة التي تأتي قبل الأُخرَيات وتُذكَر كالأخيرة بينها لأنّها هدف كلّ الأشياء الحسنة وأعظم منها جميعًا... كلّ إيمان يأتي منها ويُبنى على أساسها: عليها يرتكز الرجاء. بمعزل عن المحبّة لا يكون شيءٌ مطلقًا، ولن يكون. أسماؤها وأعمالها متعدّدة وأكثر منها علاماتها. صفاتها إلهيّة وكثيرة، لكنّها واحدة في الطبيعة، فوق ما يستطيع وصفه البشر والملائكة أو أيٌّ من المخلوقات الأُخرى، حتّى التي لا نعرفها. لا يستطيع العقل فهمها، مجدها لا يُدرَك وقصدها لا يُسبَر غوره. إنّها أزليّة لأنّها فوق الوقت؛ وغير منظورة لأنّ الفكر لا يفهمها مع أنّه قادر أن يشعر بها. كثيرة هي جمالات هذه الصهيون المقدّسة غير المصنوعة بيد. مَن ابتدأ برؤيتها لا يبتهج بعد بالأمور المحسوسة: يتوقّف عن التعلّق بمجدِ هذا العالم».

يتأمّل القدّيس سمعان بالمحبَّة مخاطبًا إيّاها وقائلًا: «أيّتها المحبّة الإلهيّة، أين تقتنين المسيح؟ أين تخفينه؟ أين أخذتِ مخلّص العالم وتخلّيتِ عنّا؟ إفتحي لنا ولو بابًا صغيرًا نحن غير المستحقّين، حتّى نرى المسيح الذي تعذّب من أجلنا، وبرحمته تكون لنا الثقة بأنّنا لن نموت إذا رأيناه. إنفتحي لنا، لأنّكِ صرتِ بابَه حتّى يظهر بجسده. لقد حرّكتِ قَسرًا شفقة سيّدنا الطوعيّة الكريمة ليحمل خطايا كلّ الناس وأسقامهم، فلا ترفضينا بقولكِ: لستُ أعرفكم. كوني معنا حتّى تعرفينا، لأنّنا مجهولون عندك. أسكني فينا لعلّ السيّد يزورنا نحن الحقيرين عندما تلاقينه، لأنّنا غير مستحقّين. هو سوف يتوقّف على الطريق ليتحدّث معك، وهكذا يُسمح، حتّى لنا نحن الخطأة، أن نسقط عند قدمَيه الطاهرتَين. كوني وسيطتنا والتمسي أن تُنسى ديونُنا من الأفعال الرديئة، حتّى نظهر، من خلالكِ، مستحقّين لخدمة سيّدنا ونتغذّى به... اغفري لنا إذًا، أيّتها المحبّة المقدّسة، وَلْندخلْ عبرَكِ فرحَ معوناتِ ربِّنا، لأنّ أحدًا لن يذوق حلاوتها إلّا عبركِ. مَن لا يحبّكِ كما يجب، وليس موضع محبّتكِ سوف يجري، لكنّه لن يأخذ الجعالة (١كو ٩: ٢٤). الذي يجري يبقى غير أكيد

إلى أن ينهي السباق، أمّا الذي أمسكَ بكِ، أو بمَن هو ممسكٌ بكِ، فهو أكيدٌ من النصر، لأنّكِ أنتِ غاية الناموس. أنتِ من يطوّقني ويؤجّجني ويضرم قلبي برغبة جامحة لله ولإخوتي وآبائي. أنتِ معلّمة الأنبياء، رفيقة الرسل، قوّة الشهداء، وَحْيُ الآباء والمعلّمين، كمال القدّيسين جميعًا، والآن أنتِ براءتي للخدمة التي أمامي».

يختم القدّيس سمعان عظته قائلًا: «بالمحبّة، خاض الرسل ذاك السباق المتواصل، ورموا صنّارة الكلمة، وألقوا الشبكة على كلّ الكون، ليرفعوه من عمق الوثنيّة ويوصلوه سالمًا إلى ميناء مملكة السماوات. بالمحبّة، أراق الشهداء دماءَهم كي لا يخسروا المسيح. بالمحبّة، طرح آباؤنا المتوشّحون بالله ومعلّمو المسكونة حياتهم بشوق من أجل الكنيسة الجامعة الرسوليّة».

الرسول توما

ثمّة رواية تناقلتها الأجيال عن الرسول توما تحمل معنى روحيًّا ساميًا. يُحكى أنّ ملكًا هنديًّا اسمه «غوندافور» قرّر أن يبني لنفسه قصرًا عظيمًا لا مثيل له على الأرض، فانطلق رسوله «هافان» يبحث عن عمّال ماهرين قادرين على ذلك. بتدبيرٍ إلهيّ، جاء «هافان» إلى الرسول توما الذي قال له إنّه مستعدّ أن يبني للملك مثل هذا القصر، شرط أن يتركه يعمل كما يريد. إتّفق الإثنان، وسافر توما إلى بلاد الهند. هناك، أعطى الملكُ الرسولَ كمّيّة كبيرة من الذهب ليباشر ببناء القصر. ما إن غادر توما حضرة الملك حتّى وزّع كلّ ذاك الذهب لفقراء الهند، وراح يبشّر بالإنجيل. مرّت سنتان، فأوفد الملك عبيده إلى الرسول يسأله إن كان انتهى من بناء القصر، لأنّ القصر كان بعيدًا عن عاصمة الملك، فأجاب توما: «كلّ شيء بات جاهزًا إلّا السقف»، وطلب مزيدًا من المال، فأعطاه الملك ما أراد. مجدَّدًا، أعطى الرسول كلّ الذهب للفقراء، وتابع تجواله مبشّرًا بالإنجيل. إلّا أنّ الملك عرف، بطريقةٍ ما، أنّ توما لم يشرع ببناء القصر، فقبض عليه وزجّه في السجن. في تلك الليلة، مات أخ الملك، فحزن عليه الملك جدًّا.

ثمّ إنّ ملاكًا حمل روح الميت إلى الفردوس وأراه قصرًا عجيبًا لا يقدر عقل إنسان أن يتصوّر مثله. عندما أراد أخ الملك دخول هذا القصر العجيب، منعه الملاك قائلًا: «هذا القصر يخصّ أخاك الملك، وهو القصر الذي شيّده له الرسول توما بالحسنات التي أعطاه إيّاها». بعد ذلك، أعاد ملاكُ الربّ روحَ الرجل إلى جسده، فأسرع إلى أخيه وقال له: «أقسم لي بأنّك ستعطيني كلّ ما أطلبه منك». أقسم الملك، فقال له أخوه: «أعطني القصر الذي بناه لكَ توما في السماء». لم يصدّق الملك ما سمع إلى أن شرح له أخوه كلّ ما جرى. عندئذٍ، أرسل الملك فأطلق توما من السجن واستقدمه إليه وسمع منه كلام الخلاص والحياة الأبديّة، ثمّ اعتمد وأعطاه مزيدًا من المال لتوسيع القصر الذي بناه له في السماء. هكذا ازدادت أعمال الرحمة، وزاد الشكر لله، واتّسع نطاق البشارة بكلمة الحياة.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

لئلاّ يبقى أيّ ذكرٍ له في ما بعد، شاؤوا اجتذابه إلى القصاص الملعون، غير عالمين أنّ الحقّ يعلو بالعوائق... إكليل الشوك، الرداء، القصبة، اللطمات، الضرب على الخدّ، البصاق، الهزء، هذه الأمور إن تأمّل فيها المرء بلا انقطاعٍ كانت كافية لتذليل كلّ غضب. فإن هُزء بنا وقاسينا الظلم، لنقل مع ذلك: «ما من عبدٍ أعظم من سيّده» (يو ١٣: ١٦) لأنْ، لسببٍ واحدٍ، قد تحمّل هذه الأمور كلّها، لكي نتمكّن من السير على خطاه، ونتحمّل تلك السخريات المشوّشة أكثر من أيٍّ نوعٍ آخر من التأنيب... لنقتدِ بهذا أيضًا، إذ لا شيء يسترضي الله كمحبّة الأعداء، والإحسان إلى من يعاملوننا بازدراء. حينما يهينك إنسانٌ لا تنظر إليه، بل إلى الشيطان الذي يحرّكه وصبَّ عليه كلّ غيظك، أمّا الإنسان الذي يتحرّك بواسطته فارثِ له. لأنّه إن كان الكذب من الشيطان، فالغضب بلا سبب هو كذلك أكثر بكثير.

القديس يوحنا الذهبي الفم